الصيغ الإسنادية في كتاب أخبار الشعراء (الأوراق) لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت 335هـ)

Attribution formulas in the book of akhbar al_shuaraa (alawraq) to Abu Bakr Mohammed bin Yahya al-Souli 335 e

الأستاذ الدكتور"ضياء غني العبودي"

م. باحث "عدي حسن كاظم"

جامعة ذي قار – العراق

تاريخ الإرسال: 2019/10/18 **تاريخ القبول: 2019/11/09**

ملخص:

يدرس البحث (الصيغ الإسنادية في كتاب أخبار الشعراء (الأوراق) لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ت 335هـ)، فالسند هو نسق مترابط من التراسل الشفوي، والسبيل الوحيد للتثبّت من صحة انتساب الأخبار القديمة، وبذلك أضحى مصطلحا أساسيا له أهميته الجلية التي اكتساها من وظيفيته السردية المؤصلة للخبر، فماذا نقصد بالإسناد؟ وما الصيغ التي وردت فيه؟ وما دلالتها؟ هذه الأسئلة وغيرها سيحاول البحث الإجابة عنها.

الكلمات المفتاحية: إسناد، صيغ، السرد، الوظيفة.

Abstract:

The study of the research (Attribution formulas in the book of akhbar al_shuaraa (alawraq) to Abu Bakr Mohammed bin Yahya al-Souli 335 e) Valsend is a coherent pattern of oral communication is the only way to confirm the validity of the affiliation of old news and thus exposed either the term and basis of importance and the function of narrative through which the news And this basis is (support) What do we mean attribution? And what formulas are contained in it? What is its significance? These questions are trying to find answers.

Keywords: Attribution, Formulas, Narrative, Function.

مقدمة

احتلّت الأخبار مكانة بارزة في التراث العربي الفني وغير الفني على اختلاف موضوعاتها، إذ عرفها العرب منذ عصر ما قبل الإسلام حين كانت تنقل شفاهاً بين الناس الأمر الذي أدّى إلى حفظها وشيوعها ثم تدوينها فيما بعد، وبالتالي كثرت كتب الأخبار وكانت من المصنفات الأدبية الأجدر بالاهتمام، ولاسيما احتواء نصوصها على الكثير من الفنيات التي اعتمدها القدماء في ترويج مدوناتهم ونشرها.[1]

ومن هذه المصنفات (أخبار الأذكياء وأخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي، والبرهان والعرجان للجاحظ، وأخبار النساء لابن قيم الجوزية، وأخبار الزمان للمسعودي، وإخبار مكة للأزرقي[2] وأخبار أبناء الخلفاء، وأخبار الشعراء في كتاب الأوراق للصولي) والذي نحن في صدر بيان الصيغ التي استلهمها أبو بكر الصولي في نقل الأخبار من حيث إسنادها إلى رواة قبله أو معاصرين له، وقد اختلفت هذه الصيغ وتنوعت، وسنأتي على بيانها وتوضيح دلالاتها بعد أن نتعرف على مفهوم (الخبر).

وقد قسّمنا هذا البحث إلى عدة محاور أولها تحدثنا فيه عن مفهوم الخبر، ثم تحدثنا عن آراء النقاد المحدثين في الخبر، والمحور الثالث تكلمنا فيه عن الإسناد ووظائفه وصيغه، والمحور الرابع تحدثنا عن صيغ الإسناد ودلالاتها للوقوف على أهمية السند ووظائفه في الأخبار القديمة.

- **المحوّر الأول – مفهوم الخبر:**

تشير معاجم اللغة إلى أنّ الخبر هو النبأ أو العلم بالشيء[3]، وقد رادف الخبر بعض المصطلحات كالنبأ والحديث والقصص، فقيل[4] إنّ الخبر هو القول الذي يصحّ وصفه بالصدق والكذب، ويكون الإخبار به عن نفسك وعن غيرك، والحديث في الأصل هو ما تخبر به عن نفسك من غير أن تسنده إلى غيرك وسمي حديثاً لأنّه لا تقدّم له وإنما هو شيء حدث لك فحدثت به، ثم كثر استعمال اللفظين حتى سمي كلّ واحد منهما باسم الآخر فقيل للحديث خبر وللخبر حديث.[5] وبالتالي فإنّ الخبر والحديث لفظان مترادفان في الاستعمال.

وقيل إنّ "الحديث ما جاء عن النبي (ﷺ) والخبر ما جاء عن غيره"[6] والقصص "ما كان طويلا من الأحاديث متحدثا به عن السلف وإذا استطال السامع الحديث قال: هذا قصص، والحديث يكون عمن سلف وعمن حضر ويكون طويلا وقصيرا ويجوز أن يقال: القصص هو الخبر عن الأمور التي يتلو بعضها بعضا والحديث يكون عن ذلك وعن غيره"[7].

أمّا من حيث الاهتمام بهذا المصطلح (الخبر) في التراث النقدي القديم فلم يعر اهتماما كمصطلح نقدي، على الرغم من شيوعه في الثقافة العربية، سواء في المتن أو أسماء الكتب مثل: عيون أخبار الرضا والأخبار الطوال للدينوري وأخبار أبي تمام للصولي وغيرها الكثير.[8]

إلا أنّ (الخبر) وجد عناية لدى المحدثين وشغل حيزا واسعا من اهتمامهم لما وجدوا فيه من أهمية بالغة في التراث النقدي العربي القديم وبالتالي فقد ألفت العديد من الكتب في هذا المضمار، وهذا ما نجده في المحور الثاني.

- **المحور الثاني – آراء النقاد المحدثين في الخبر:**

ومن ذلك تطالعنا الدكتورة (نبيلة إبراهيم) وما كتبته في مجلة فصول عام 1982 حيث عدّت الخبر والمقامة والسيرة (أنماطا) من القص[9]، فهي بذلك لا تعدّ جنسا أدبيا له سمات متميزة.

أمّا شكري عياد الذي يعدّ من أوائل الذين تحدثوا عن الخبر كونه فنا سرديا وجنسا أدبيا كما يقول: "أمّا نحن فنتحدث عن جنس أدبي لا نعرف بالضبط كيف تطور.."[10].

في حين يعرف محمد القاضي (الخبر) على أنه: "وحدة سردية مستقلة"[11]، وهو مجموع الأحداث والشخصيات التي تمثل ضربا من المادة الخام التي بها قوام السردية قبل أن تتجسد في النص.[12]

أمّا الدكتورة فدوى مالطي فقد ردفت الخبر بالحكاية حينما قالت إنّ الحكاية "وحدة سردية مستقلة بذاتها"[13].

في حين يرى سعيد يقطين أنّ الخبر أصغر وحدة حكائية "فإذا كان الخبر أصغر وحدة حكائيه فإنّ الحكاية تراكم لمجموعات من الأخبار المتصلة والقصة تراكم لمجموعة من الحكايات والسيرة تراكم لمجموعة من القصص"[14].

أمّا سعيد جبار فيرى أن الخبر نوع سردي بسيط يتمركز بالأساس حول الحدث الواحد والبسيط وهو سرد منقح وقابل للترهين وقابل للتحوّل في كلّ لحظة وهو بهذا يوافق سعيد يقطين في المبدأ التراكمي للأنواع الخبرية من الخبر وصولا إلى السيرة. [15]

وعلى وفق ما تقدم فإنّ الأخبار "وحدات سردية قادرة على التنقل من موضع إلى آخر وهي في تنقلها ذلك تحافظ على استقلالها من جهة ومن جهة أخرى تنشأ بينها وبين أخبار أخرى علاقات جديدة"[16].

فالخبر الأدبي هو فن سردي قائم على الصياغة الأدبية والذي يكون هم صاحبه ليس الإيصال والتوثيق فحسب أو السعي إلى الإمتاع أو التأثير أيضا، وبهذا يختلف عن الخبر التاريخي والذي هو نقل الحوادث وتوثيقها، فهمّ صاحبه نقل الأحداث وأفعال الناس وما طرأ على حياتهم وأوضاعهم حسبما يتناقله الرواة ويتحدث به اللاحقون عن السابقين ممن شهدوا ذلك الخبر أو سمعوه [17].

على أنّ الذي يعنينا هو الخبر الذي يحمل الطابع السردي سواء كان خبرا أدبيا أم تاريخيا، ومثال ذلك الخبر الذي ينقله الصولي في كتابه (الأوراق)، قسم أخبار الشعراء في معرض ذكر لأقوال أحمد بن يوسف مولى بني عجل وزير المأمون "حدثني محمد بن العباس المادرائي قال: حدثني محمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف قال : غنى مُغنٍ في مجلس أحمد بن يوسف ولم يكُ محسنا فلم ينصتوا له وتحدثوا مع غنائه فغضب فقال أحمد: أنت عافاك الله تحمل الآذان ثقلا والقلوب مللا والأعين قباحة والأنف نتنا ثم تقول: اسمعوا لي وأنصتوا لي هذا إذا كانت أفهامنا مقفلة وحواسنا مبهمة وأذهاننا صدئة رضيت بالعفو منا وإلا

قمت مذموما عنا"[18]، فالسردية واضحة في هذا الخبر سواء حمل الطابع الأدبي أم التاريخي المهم توافرت فيه عناصر السرد وأهمها السارد والمسرود له والمسرود.

والخبر بوصفه مجالا سرديا يقسم إلى قسمين بحسب استيعابه لجملة من الفعاليات الإخبارية، فمنه خبر عام، والذي يتمثل بأشكاله السردية الأساسية كأيام العرب وقصص الشخصيات والحيوان، وأمّا الخبر الخاص، فسيتجلى بما توفره مساحته النصية من مجال حكائي يعتمد الاختزال والتركيز والاستقلالية على نحو الأمثال بوصفها فاعلية إخبارية.[19]

ولما كان الخبر في التراث العربي (بصورة عامة) مبني على دعامتين أو مكونين أساسيين هما: السند والمتن فالإسناد "كان بدائيا لا قانون له ولا قواعد ثابته يخضع لها فمتن الخبر مقدّم على إسناده، ولكنّ القرن الثالث وما أصابه من تبلور لمصطلحات الإسناد في الحديث النبوي شهد حركة في إسناد الأخبار الأدبية إلا أنها حركة غير صارمة ولا منتظمة أمّا القرن الرابع فقد عرف الإسناد فيه تطورا حاسما كما وكيفا"[20]، لكونه آلية من الآليات التي تتعلّق بالسرد العربي وطرائقه وأبنيته بالدواعي الباحثة على تحريك النفوس.[21]

وبالتالي أضحينا أمام مصطلح وأساس له أهمية ووظيفة سردية يتضح من خلال الخبر وهذا الأساس هو (الإسناد) فماذا نقصد بالإسناد؟ هذا ما يجيب عنه المحور الثالث.

- **المحور الثالث – الإسناد؛ وظائفه، صيغه.**

الإسناد: مصدر للفعل الرباعي (أسند)، والسند في اللغة بمعنى الاعتماد والاتكاء (وفلان سندٌ) أي معتمد، وأسند الحديث إلى فلان بمعنى رفعه والمسند من الحديث ما اتصل إسناده حتى يسند إلى النبي (ﷺ).[22] فالسند هو رفع الحديث للقائل الأول.

أمّا في الاصطلاح: فهو الإخبار عن طريق المتن وهو يمثل سلسلة الرواة الناقلين للمتن عن مصدره الأوّل، والإسناد هو الحكاية عن طريق متن الحديث، وبالتالي فهو عملية يقوم بها الراوي تتجسد في إنشاء خيط واصل بينه وبين مصدر الحديث، وهذا الخيط هو السند

الذي لا يتصل إلا أن يكون كلّ واحد من رواة الحديث سمعه من فوقه وينتهي ذلك إلى آخره.[23] ومن هنا تظهر أهمية السند في التحقّق من مدى صحته والوثوق به.

يتضمّن السند بعدا تاريخيا واقعيا يربط الحديث بالتاريخ والواقع، ويتخلى عن العمل المباشر للكلام ليوفر للمروي خلفية من الصدقية والأصالة على الأقل فيما يتعلّق بالراوي الأخير [24].

وعليه فالإسناد إذا كان بهذه الأهمية بمكان إذ يعدّ نسقا مترابطا من التراسل الشفوي فهو السبيل الوحيد للتثبيت من صحة انتساب الأخبار القديمة بوصفه وسيلة للتأكد من سلامة الحديث النبوي، وبالتالي فقد حظي بمكانة علمية متميزة عند أصحاب الرواية الأدبية، فالإسناد يظلّ مفتاحا أساسا من مفاتيح الأخبار فهو ألصق بالخبر من غيره من الأنواع الأدبية الأخرى سواء كان ذلك من منظور تاريخ الأدب أم من زاوية تاريخ الأفكار أو حتى من إنشائية الأخبار.[25]

وإذا ما تتبعنا وظائف الإسناد وجدناها على النحو التالي:

1) تحقيق المصداقية الحكائية والتوثيق السردي.
2) ممارسة السارد لسلطته على المتلقي (المسرود له) والتي ليست في آخر الأمر إلا جدلية الثقافي والسياسي.[26]
3) يعمد المؤلف إلى الإسناد ليبين للقارئ أو السامع أنّه لم يخترع الخبر من نفسه وإنه عالم بالميدان الذي يكتب فيه.
4) وسيلة لبيان معرفته بالرواة أو تقديم معلومات عن ظروف الرواية.
5) للإسناد وظيفة الإيهام وإيجاد ما يبرر ما ورد في المتن.
6) إضمار دور المؤلف، وبالتالي إعفائه على آثار الصناعة والوضع ويوهم بصحة انتحاء الخبر إلى عصر محدود وراوٍ معلوم يختلف عن المؤلف.[27]

وذلك؛ لأنَّ التعامل مع تقاليد الإسناد وافتتاحياته يثير السؤال عن الإمكانية التي يحققها في تنظيم العمل السردي لما بعد الافتتاح. [28]

7) من وظائف الإسناد نسبة المسرود إلى أشخاص آخرين حقيقيين أو خياليين فهو وسيلة من وسائل المؤلّف لتحقيق الكثير من المقاصد ومنها الإيحاء بأهمية الأخبار وشدّ انتباه المتلقي لها وجذبه لمتابعتها.[29]

8) الإسناد يجعل السارد مجرد ناقل للخبر ويتخذ موقفا خلف الأحداث بوصفه ساردا علميا[30].

وبالنظر لجملة الوظائف التي يقوم بها الإسناد، وما يضيفه على نص الخبر من سردية تحمل المصداقية من ناحية والتوثيق السردي من ناحية أخرى، وبالتالي لابدّ من الإشارة إلى بنية (الإسناد) التي تختلف في صيغها من نص لآخر أو قول من كتاب لآخر، فإنّ كتاب (الأوراق قسم أخبار الشعراء) للصولي بوصفه أحد كتب الأخبار قد شمله هذا التنوع أو الاختلاف في صيغ الإسناد، وبالتالي فما هي الصيغ الإسنادية التي وردت في أخبار الشعراء للصولي؟ والجواب على هذا التساؤل نجده في المحور الرابع.

- **المحور الرابع – صيغ الاسناد ودلالاتها.**

بعد أن بان لنا مفهوم الإسناد وأهميته في الخبر وإنَّ السند "يعطي الانطباع أن الخطاب له بالواقع نسب"[31]، وبالتالي فإنَّ الصيغ التي وردت في كتاب (الأوراق)، قسم أخبار الشعراء، متنوعة وقد غلب عليها صيغة (حدثني، حدثنا) فضلا عن صيغ كثيرة وردت في هذا الكتاب ومنها (يقال، أخبرنا، قال، يقول، وجدت بخط، أنشدني، أنشدنا قيل، قال لي، رأيته، سمعت، وجدتها، يروي أنه قيل، زعموا، روى)[*] هذه مجمل الصيغ الإسنادية التي وردت في كتاب الأوراق قسم أخبار الشعراء للصولي.

- **دلالات صيغ الاسناد:**

في الوقت الذي تأثر فيه الإخباريون برواة الحديث النبوي من جهة التزام المسند في الغالب، فإنّ قسما من أولئك الإخباريين قد تخلوا عن السند وانتقلوا إلى المتن الخبري مباشرة وجاء هذا التخلي لدواعٍ ومسوغات منها مثلا قرب الراوي أو بعده زمنيا عن

الشاعر المروي له، ولذا قد تغيب سلسلة السند كليا أو جزئيا عندما يكون الراوي من معاصري الشاعر أو أصحابه أو رواة أخباره.[32]

وبالتالي فإنَّ الألفاظ الافتتاحية تمثل الإعلان عن فعل السرد في الخبر قديما في ضمن نطاق السند الذي يذكر فيه الرواة الذين تناقلوا هذا الخبر ومن الملاحظ أنَّ هذه الألفاظ نحو: (قال، وأخبر، وتحدث) ذات طابع شفوي دخلت مجال الكتابة فصارت من مقوماتها الأسلوبية.[33]

فعندما يقول الراوي: (أخبرني)، أو (حدثني) قد يدلّل على هذا أنّ المروي الخبري وصل إليه مشافهة عبر سلسلة المحدثين حتى صار إلى الراوي المدون وبذا أفصحت تلك الألفاظ الافتتاحية عن تعايش المشافهة والتدوين وتجاورهما واتصالهما.[34]

ويحدّد (سعيد يقطين) صيغ الأداء الروائي قديما بثلاث صيغ تستوعب مجمل الصيغ الأخرى أولها: صيغة (أنشدنا) وهي مستوعبة لصيغ عدة منها: (قال الشاعر)، (أنشد) ونحوهما، وثانيهما صيغة: (حدثنا) ويدخل في بابها مثل قولهم: قال وقيل ويقال. وهي تشير بشكل إلى جنس الحديث (خطية أو وصية أو دعاء أو حكمة أو قولا مأثورا. وثالثها: صيغة (أخبرنا) ويدخل في ضمنها مثل قولهم: روى وحكى وقصّ وزعموا، (قال الراوي) و(مما يحكى).

ونحو ذلك وهي صيغة تشير في الغالب إلى جنس الأخبار القصار أو الطوال التي تتضمن قصص الجن وحكاياته أو قصص الأولياء الصالحين أو الوقائع التاريخية وما إلى ذلك.[35]

ولأجل الوقوف على دلالات صيغ الإسناد التي وردت في كتاب الأوراق قسم الشعراء فيجدر بنا أن نصنفها إلى أصناف متعددة، مع ذكر نماذج وردت فيها هذه الصيغ الإسنادية التي توافرت عليها أخبار الشعراء.

1) ألفاظ السماع:

صورة السماع أن يؤدي الخبر مسندا عبر صيغ أدائية يفتح بها، وأكثر هذه الصيغ في إسناد أخبار الشعراء: (سمعت) و(حدثنا) و(أخبرنا) و(أنبأنا) إلا أن أرفع هذه العبارات (سمعت).[36]

وخلاصة السماع "أن يسمع المتحمل من لفظ شيخه سواء أحدثه شيخه من كتاب يقرؤه أم من محفوظاته وسواء أأملي عليه أم لم يمل عليه"[37].

وينقل الخطيب البغدادي عن بعضهم قوله: إنّ (حدثنا) أحسن شيء في هذا و(أخبرنا) دون (حدثنا) و(أنبأنا) مثل (أخبرنا).[38]

إن هذه الألفاظ المعتمدة في أسانيد الأخبار تفصح عن عرف أدبي استساغة الرواة والتزموا به حتى صار من لوازم الرواية الأدبية، سعيا منهم في تحقيق قدر وافر من الأمانة النقلية واحتياطا من التزيد والاختلاس.[39]

ومن أمثلة هذه الصيغ، وأعني (ألفاظ السماع) ما أورده الصولي في كتاب (الأوراق قسم الشعراء) الخبر، قال الصولي: "حدثني محمد بن سعيد ، قال: حدثني علي بن محمد النوفلي قال: عاتب ابان البراكمة في إعطاء الرشيد..."[40]، والخبر: "حدثني برد بن حارثة الربعي، قال: حدثني أبو إسماعيل ابان بن عبد الحميد قال: لما شخص الفضل بن يحيى بن خالد إلى الري لمحاربة يحيى بن عبد الله بن الحسن خرج معه جدي..."[41]. والخبر "أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا النخمعي وإسحاق قال: حدثنا الجماز قال: هجا ابان المعزل بن غيلان ..."[42].

وكذلك الخبر "أخبرنا الصولي حدثنا أبو الحسن البرذعي، قال: حدثني محمد بن الحسن مصقول عن العقابي قال: كنّا بباب الفضل بن يحيى البرمكي اربح الألف ما بين شاعر وزائر وفينا فتى يحدثنا ونجتمع إليه..."[43].

والخبر: "أخبرنا ابن العباس اليزيدي قال: حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد قال: كان ابان اللاحقي صديقا للمغول بن غيلان وكانا معا في صداقتهما يتعابثان بالهجاء فيهجوه المعذل بالكفر..." [44].

وقد تنوعت الدلالات اللغوية لألفاظ السند الخبري تبعا لتنوع الأسانيد الخبرية صياغة وبناء بالاعتماد على سنن الأداء التي اتبعوا فيها أصحاب الحديث ورواته، معبرين في بعض الأحيان عن خصوصية أدبية كما في قولهم: أنشدنا، أنشدني، أنشدت، إذ تمثل مثل هذه الألفاظ السماعية "خصوصية من خصوصية الرواية الأدبية من خلال لغة الإسناد فيها وهو ما يدلّ على تميز الرواية الأدبية ببعض السمات التي تميزها عن رواية الحديث"[45]، ولا تقلّ هذه الألفاظ وثاقة عن ألفاظ السماع الأخرى في الرواية الأدبية بل إنّ لفظا مثل (أنشدني) قد يرد حاملا لأقصى دلالات الوثاقة ولاسيما إذا كان سياق الكلام يعين على ذلك[46] ومثال ذلك ما نجده في سند خبر يرويه أبو بكر الصولي: وأنشدني عونٌ، قال: أنشدني عبد الله بن أحمد بن يوسف لأبية:

إذا مـــا التقينا والعيـون نـواظرٌ فألسننا حدبٌ واعيننا سلـــمٌ
وتحت استراق اللحظ منا مودةٌ تطلع سراً حيث لا يبلغ الوهم[47]

وكذلك الخبر (وأنشدني) أيضا لأبيه :

محبٌ شفة ألمه وخامر جسمته سقمهُ
وباح بما يجمعه من الأسرار فتكتمهُ
إمّا ترثي لمكتئبٍ يحبك لحمه ودمـهُ
يغار على قميصك جد من تلبسه ويتهمه

وهذا يدل على اختصاص الإنشاد بالإخباري (أبي بكر الصولي) لا غيره وبالتالي الإيحاء إلى القارئ بمصداقية الخبر المسرود وهذه وظيفة من وظائف الصيغ الإسنادية في الخبر.

ومن الصيغ السماعية التي وردت في أسانيد أخبار الصولي اللفظ (قال)، "قال أبو بكر: وقال لي يوما عبد الله بن المعتز من أخذ أشجع

وليس بأوسعهم في الفتى ولكن معروفه أوسعُ

فقلت من قول موسى شهوات لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب (عليه السلام):

ولم يك أوسع الفتيان مالاً ولكن كان أرحبهم ذرعا"[48]

والخبر قال الصولي: "وقال لي الراضي بالله يوما وقد وقف على نهر وكان يحفظ أكثر شعري لا أعرف في ضفة نهر لقديم ولا محدث إلا كلمات ابن الرومي ..."[49].

وكذلك الخبر: "حدّثني الحسين بن يحيى قال: حدثنا صالح بن معاوية بن صالح عن أبيه قال: رأيت محمد بن زياد الحرثي..."[50]، والخبر "قرأت على الحسن بن علي الجوهري عن أبي عبيد الله المرزباني، قال: أخبرني محمد بن العباس، حدثنا محمد بن موسى البربري حدثنا قال: حماد بن اسحاق قال: الزم يحيى بن خالد البرمكي ابان بن عبد الحميد دارا لا يخرج منها حتى ينقل كتاب كليلة ودمنة من الكلام إلى الشعر، فنقل فوهب له عشرة آلاف دينار قال: ويقال إن كلّ كلام نقل إلى الشعر فالكلام أفصح منه إلا كتاب كليلة ودمنة"[51]

ويبدو أنّ كثرة صيغة (قال) الإسنادية في هذه الأخبار قد أعطت انطباعا على أن المقام السردي فيها أصبح وسيلة لإيراد القول، وهذه ظاهرة بالغة الأهمية، وبالتالي فهي تكشف عن سرّ من أسرار الخبر الأدبي المتمثّل في توقيف السردية فيه بحول القول المقصود لأنها مركز الثقل في الخبر، وفيها يكمن مبرر وجوده، إذ يستطيع الراوي المتمكن بواسطة أداة السرد (قال) ومشتقاتها أن يبدع في سرده ويضيف في حكيه، وكأنما هناك حافز يدفعه ليكمل ما يجده ناقصا، وبالتالي فهو يروي أحداثا تخيلها غيره على نحو ما فيحيلها إلى ذلك الشكل من النسج السردي مضيفا إليها عناصر أخرى لتكون أروع وأجمل، لأنّ هذه الصيغة ما هي إلا (أنا) السردية لا النفسية فتوحي أن الراوي يعزو السرد إلى نفسه ويحاول إذابته في زمنه واستدراجه إلى اللحظة التي كان يسرد فيها أخباره ليفسح المجال للشخصية

الرئيسة لتسرد بضمير المتكلم الذي يتحيز بالقدرة الفائقة على إذابة الفروق الزمنية والسردية بين الراوي والشخصية والزمن جميعا.[52]

كذلك نجد صيغة (سمعت) من ذلك الخبر: "سمعت الحسين بن علي الكاتب يقول: كان صبيح عبدا لبعض بني عجل فلما أعتقه تكنى بأبي القاسم وقال غيره: كان الذي أعتقه بحر بن العلا العجلي.."[53].

وكذلك الخبر: "حدثني أحمد بن زيد قال: حدثنا إسحاق الموصلي أبو الفضل قال: سمعت ابن كناسه الأسدي يقول: خرجت الكوفة وسوادها جماعة من الكتاب فما رأيت فيهم بيتا أجل ولا أبرع أدبا من بيت أبي صالح وكان من يفد على هشام بن عبد الملك يمدح القاسم بن صبيح..."[54].

والخبر: "حدثني عون بن محمد الكندي، قال: سمعت عبد الله بن أحمد بن يوسف يقول: من كلام أبي محمد القاسم بن صبيح، اصحب من غيبته كحاضره، وباطن وده كظاهره، تكثر مسرته وتؤمن معزته"[55].

وأيضا الخبر قال: "حدثني الحسين بن فهم، قال: سمعت يحيى بن اكثم يقول: حضر محمد بن يوسف المأمون وبين يديه ابن له ينشد شعرا فقال: كيف تراه؟ فقال: أراه فطنا ذكيا، أديب اللفظ واللحظ.."[56]، وكذلك الخبر: "حدثنا أحمد بن إسماعيل، قال: سمعت سعيد بن حميد يقول: أهدي أحمد بن يوسف إلى المأمون لما استكسبه لوزارته واستخصّه في يوم مهرجان هدية بألف ألف درهم"[57].

مما تقدّم يتضح إن هذه الألفاظ تدل على قرب الراوي من مصدر الخبر المنقول بل على أقصى درجات القرب من مصدر الخبر، وبذلك توحي للسامع والقارئ إن ما ينقله السارد يحمل من المصداقية والوثاقة ما يسلم به دون أي جدال أو حتى اعتراض.

2) ألفاظ القراءة:

تدلّ القراءة على مراتب أجودها وأسلمها أن يقول: قرأت على فلان أو قرئ على فلان وأنا أسمع فأقر به وقد يكفر الراوي أن يقول فيما يسمعه قراءة (أخبرنا) ولا يحتاج أن يقول (قراءة) على أنّ من أظهر ألفاظ القراءة حضورا في أسانيد الرواية الأدبية قولهم "قرأ وقرئ، وقراءة عليه"[58].

ومن أمثلة ذلك ما جاء في كتاب (الأوراق) قسم الشعراء للصولي الخبر:"قرأت على الحسن بن علي الجوهري عن أبي عبيد الله المرزباني قال: أخبرني محمد بن العباس..."[59].

فهذه الصيغة قد أدت وظيفة دلالية مهمة هي تأكيد الخبر وتعضيد مفسره في حين هذه الألفاظ نادرة الورود في كتاب (الأوراق قسم الشعراء) ولعلّه راجع إلى كون المؤلف الإخباري (الصولي) أحيانا يكون هو الراوي لهذه الأخبار من دون أن يكون ذلك قراءة علية من غيره، وبالتالي فهو يعتمد على ذاكرته وما تحويه من مرويات شفهية ذلك أن الكتابية لم تكن بديلا عن المشافهة.[60]

3) ألفاظ الوجادة:

وهي أن يقف الراوي على "كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطه، ولم يلقَه ولم يسمع منه، ذلك الذي وجده بخطة ولا له منه إجازة ولا نحوها فله أن يقول: وجدت بخط فلان"[61].

ومع أن الوجادة على درجة كبيرة من الوثاقة إلا أنها تختلف دلاليا تبعا لورودها السياقي فعندما يقول الراوي: وجدت بخط فلان، فإن ما وجده لا يعرف أكان في كتاب معروف له أم في رسالة مخصوصة منه، أم هو خبر في صحيفة متداولة بين تلاميذ المروي عنه ومثال ذلك الخبر الذي يرويه أبو بكر الصولي في كتاب الأوراق قسم أخبار الشعراء: "ثم وجدت بخط الكراني: أنشدني أبو علي ابن عمارة شيخ من آل أبي عمرو بن العلاء لأبان اللاحقي..."[62].

والخبر: "وجدت بخط أبي علي الكراني، أنشدني أبو عبد الله محمد بن زياد اليؤيؤ لأبان..."[63].

وكذلك الخبر: "ووجدت بخطه: إن القاسم وخل إلى صديق له عليل وقد أبل من علته فقال: جئتك وأنا مثقل من الهم فلما رأيتك تجلت ظلل الغم لإقبال العافية إليك وظهور تباشيرها إليك"[64]، وأيضا الخبر: "فمن شعره ما وجدته بخط اليوسفي محمد بن عبد الله بن أحمد ..."[65]، والخبر: "وجدت بخط محمد بن عبد الله اليوسفي إن عباسا غلام أب الوفاء جنى جناية خاف أبا القاسم يوسف فيها خوفا شديدا فتحمل عليه بابنه القاسم وأحمد وكتب في أمرهما..."[66].

4) ألفاظ الإنشاء:

وهي ألفاظ يستهل بها الراوي الخبر والتي حملت دلالات لفظية سياقية تدلّ على أن هذا المروي من اجتراح الرواة وخلقهم بناء على مواقف ومشاهدات خاصة بهم ومن هذه الصيغ والألفاظ التي وردت في كتاب (الأوراق قسم أخبار الشعراء)، (رأيته، صدت، رأيت) ومن ذلك الخبر: "حدثني الحسين بن يحيى قال: حدثنا صالح بن معاوية بن صالح عن أبيه قال: رأيت محمد بن زياد الحارثي يقتضي أبا القاسم حوائج له سأله عرضه لها"[67]

وكذلك الخبر: "قال أبو بكر: وقد رأيته أنا مرارا كثيرة وسمعته يحدث ولم أحفظ منه شيئا...."[68]، وبالتالي فقد لاحظنا تنوع ألفاظ السند في دلالاتها اللغوية والتركيبية ولم تكن على درجة واحدة من الوثاقة الإسنادية وقد حملت دلالات إشارية توحي بقرب المؤلف أو بعده من المروي له أو عنه، كذلك كشفت هذه الصيغ وخاصة التي تنتمي إلى الزمن الماضي فهي تبين "أنّ الرواي ينسب إليه حق رواية ما قال به راوٍ آخر وفيما يغيب الراوي المجهول يظهر ذلك الراوي بعده شاهدا على الأحداث التي يرويها وإليه تبعا لذلك تعزى مهمة تشكيل بنية الخبر بما فيه من حدث وشخصية وفضاء يحتويه"[69].

خاتمة

يمكن لهذا البحث أن يفضي إلى عدة نتائج منها:

- إنّ الأخبار احتلّت مكانة بارزة في التراث العربي القديم الفني وغير الفني على اختلاف موضوعاتها الأدبية والتاريخية والدينية.
- اعتماد الأخبار على الإسناد حتى أضحى الاهتمام به كالاهتمام بالمتن.
- يرى بعضهم بأنّ الخبر نوع سردي بسيط وبعضهم الآخر يرى أنّ الخبر جنس أدبي وفن سردي له مميزاته السردية.
- عدم امتداد الخبر في الزمان والمكان وبالتالي التزامه ترتيب محدّد في البنية السردية مع بساطة الأسلوب.
- تنوعت الصيغ الإسنادية تبعا لتلقي السارد الخبر ممن هو قبله فمنها ألفاظ سماعية مثل (سمعت، حدثنا، أخبرنا، حدثني، أخبرني) التي تميز الخبر بخصوصية من خصوصيات الرواية الأدبية ومن ألفاظ القراءة مثل : قرأت، قرأه عليه ... ما يوحي بقرب السارد من مصدر الخبر وبالتالي إضفاء وثاقة ومصداقية في سرد الأخبار، ومنها ألفاظ الوجادة مثل: وجدت بخط فلان، وجدته بخط فلان ... وهذه الألفاظ كذلك تتمتع بدرجة كبيرة من الوثاقة وبالتالي فهي تخلق انطباعا لدى المسرود له بصحة ما ينقل إليه.
- كثرة الصيغ السماعية في كتاب (الأوراق قسم الشعراء)، ما يدلّ على قرب السارد من الشاعر المروي له، وهذا يعطي تصورا على أنّ المقام السردي أصبح وسيلة لإيراد القول وكأنما هناك حافز داخلي يدفع بالسارد إلى صياغة أحداث تخيلها غيره على نحو ما فيحملها إلى ذلك الشكل من النسج السردي.
- تشكّل الأسانيد الكلمات الافتتاحية التي بها يهجى السارد ذهن المتلقي أو المسرود له لكي يتقبل كلّ ما يرد على لسان الراوي، وبالتالي إقناعه أن ما يرويه هو من الواقع مما يجعل السامع منشدّا إلى الأحداث، متابعا كلّ تفاصيل السرد، متتبعا الشخصيات التي نقل عنها السارد دون اعتراض أو حتى شك بنتيجة ما حركه الراوي من مكامن في نفس المسرود له.

- وجدت أن أغلب أسانيد الصولي تفصح عن شخصيات واقعية من مثل، شاعر، وزير خليفة، أو شيخ.
- اتسم الإسناد بالإيجاز وعدم الإطالة مما يدلّ على أنّ السارد ذا صلة قريبة من المسرود له وهو ما من شأنه أن يدفع الملل والسأم عن القارئ.

الهوامش والإحالات:

(1)- ينظر: الونسة، الاستهلال السردي في كتاب أخبار النساء، بحث في مجلة جامعة تكريت، مجلة 18، عدد5، ص120.

(2)- ينظر: م .ن.

(3)- ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 239/2 وتاج اللغة وصحاح العربية، 641/2.

(4)- ينظر: عبود، فن الخبر في كتاب اخبار الشعراء: ص 2 .

(5)- العسكري، الفروق اللغوية: 40-41 .

(6)- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 11 / 125.

(7)- العسكري، الفروق اللغوية / 42.

(8)- ينظر:الصفدي، الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري 176 بتصرف.

(9)- ينظر: نبيلة إبراهيم، لغة القصص في التراث العربي القديم / 11 ، 20 .

(10)- عياد، فن الخبر في تراثنا القصصي، 13.

(11)- القاضي، الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، 35.

(12)- ينظر: م ن، 353.

(13)- مالطي، بناء النص التراثي، 22.

(14)- يقطين، الكلام والخبر مقدمة في السرد العربي، 195.

(15)- ينظر: عبود، فن الخبر من كتب أخبار الشعراء، 8.

(16)- القاضي، الخبر في الأدب العربي، 47.

(17)- ينظر: العبودي، البنية السردية في كتاب الأغاني، 15.

(18)- الصولي، الأوراق أخبار الشعراء، 231 – 232.

(19)- ينظر: عباس، سرد المثال، دراسة في البنية السردية لكتب الأمثال العربية مع عناية بكتاب المفضل الضبي، 208 – 209.

(20)– القاضي، الخبر في الأدب العربي، 300.

(21)– ينظر: الكبيسي، جماليات النثر العربي الفني، 66.

(22)– ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 105/3، بتصرف.

(23)– ينظر: البطاط، سردية الخبر في كتاب زهد الآداب ونحر الألباب وذيله جمع الجواهر في الملح والنوادر، 33.

(24)– ينظر: كيليطو، الغائب في مقامة الحريري، 84.

(25)– ينظر: القاضي، الخبر في الأدب العربي، 347.

(26)– ينظر: شعلان، السرد العربي القديم (بحث منشور على شبكة الانترنيت).

(27)– ينظر: سردية الخبر في كتاب زهد الآداب ونحر الألباب، 35.

(28)– ينظر: عباس، سرد الأمثال دراسة في البنية السردية لكتب الأمثال، 47.

(29)– الونسة، الاستهلال السردي في كتاب أخبار النساء لابن قيم الجوزية، 23.

(30)– ينظر: م ن، 137.

(31)– القاضي، الخبر في الأدب العربي، 310.

(*)– إحصائية لصيغ الإسناد في كتاب الأوراق قسم أخبار الشعراء:

"صيغة (حدثنا) وردت 69 مرة/ صيغة (حدثني) وردت 94 مرة/ صيغة (قال) وردت 207 مرة صيغة (أنشدني) وردت 6 مرات/ صيغة (أنشدنا) وردت 6 مرات/ صيغة (وجدت بخط) وردت 12 مرة/ صيغة (سمعت) وردت 10 مرات/ صيغة (يقول) وردت 8 مرات/ صيغة (زعموا) وردت مرة واحدة/ صيغة (قال لي) وردت مرتين/ صيغة (يروى انه) وردت مرة واحدة/ صيغة (أخبرني) وردت مرتين/ صيغة (قرأت عليه، قرأت) مرة واحدة لكل صيغة/ صيغة (رأيته) مرة واحدة/ صيغة (اسمع) مرة واحدة/ صيغة (كتبت عنه) مرة واحدة".

(32)– ينظر: عبود، فن الخبر في كتب أخبار الشعراء، 173 .

(33)– ينظر: معجم السرديات، 245.

(34)– ينظر: القاضي، الخبر في الأدب العربي، 168.

(35)– ينظر: عبود، فن الخبر في كتب أخبار الشعراء، 174.

(36)– ينظر: م.ن، 181 .

(37)– م، ن.

(38)– البغدادي، الكفاية في علم الرواية، 287.

(39)– ينظر: عبود، فن الخبر في كتب أخبار الشعراء، 181.

(40)– الصولي، الأوراق قسم أخبار الشعراء، 14.

(41)– م، ن. 15

(42)– الصولي، الأوراق قسم أخبار الشعراء، 8.

(43)– م ن، 3.

(44)– م ن، 7.

(45)– عبود، فن الخبر في كتب أخبار الشعراء، 182.

(46)– ينظر: م ن، 183.

(47)– ينظر: الصولي، الأوراق قسم أخبار الشعراء، 227.

(48)– الصولي ، الأوراق قسم أخبار الشعراء ، 227.

(49)– م ن، 83.

(50)– م ن، 85.

(51)– م ن، 159.

(52)– ينظر: م ن، 2.

(53)– البطاط، سردية الخبر في كتاب زهد الآداب ونحر الألباب وذيلية جمع الجواهر في الملح والنوادر، 37.

(54)– الصولي، الأوراق قسم أخبار الشعراء، 143.

(55)– م ن، 144.

(56)– م ن، 146.

(57)– م ن، 212.

(58)– م ن.

(59)– عبود، فن الخبر في كتب أخبار الشعراء، 185– 186 .

(60)– الصولي، الأوراق قسم أخبار الشعراء، 2.

(61)– عبود، فن الخبر في كتب أخبار الشعراء، 186.

(62)– م ن، 188.

(63)– الصولي، الأوراق قسم أخبار الشعراء، 36.

(64)– م ن، 37.

(65)– م ن، 146.

(66)– م ن، 148.

(67)– الصولي، الأوراق قسم أخبار الشعراء، 162.

(68)– م ن، 159.

(69)– إبراهيم، السردية العربية، 196.

قائمة المصادر والمراجع:

- الاستهلال السردي في كتاب أخبار النساء، فادية مروان أحمد الونسة، بحث في مجلة جامعة تكريت.
- الأوراق، قسم أخبار الشعراء: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت335هـ)، تمت نشره ج، هيورث دن، ط1، 1934.
- بناء النص التراثي، قدوري مالطي، دوجلاس، ط1، 1985.
- البنية السردية في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، بمادة عبد الأمر كريم العامري رسالة ماجستير، جامعة ذي قار، 2011.
- تاريخ العروس في جواهر القاموس: الزبيدي (ت 1205هـ) مجموعة محققين، دار الهداية ط1، الكويت، 1984.
- تاريخ اللغة وصحاح العربية : الجوهري (ت393هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للمعلمين، ط4، 1987.
- جماليات النثر العربي الفني، طراد الكبيسي، بغداد، 2000.
- الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية: محمد القاضي، دار الغرب الإسلامي ط1، بيروت، 1998.
- سرد الأمثال، دراسة في البنية السردية لكتب الأمثال العربية مع العناية بكتاب المفضل الضبي (أمثال العرب)، لؤي حمزه عباس، دمشق، 2003.
- السرد العربي القديم، عبد الوهاب شعلان (بحث على شبكة الانترنيت).
- سردية الخبر في كتاب زهر الآداب ونحر الألباب وذيله جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصدي القيرواني ت 453هـ، رائد حميد البطاط وتغريد خليل حامي، ط1، 2018

- السردية العربية، بحث في البنية السردية للمورث الحكائي العربي، المركز الثقافي العربي ط1، بيروت، البيضاء، 1992.
- الغائب في مقامة الحريري، عبد الفتاح كيليطو، المغرب، ط3، 2007.
- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري (ت395هـ) ، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم، ط1، القاهرة، 1998.
- فن الخبر في تراثنا القصصي، شكري محمد عياد، مجلة فصول مج 2، عدد4، 1982
- فن الخبر في كتاب أخبار الشعراء: علي جبر عبود، رسالة ماجستير، جامعة القادسية 2017.
- الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري: ركان الصفدي سورية، ط1، 2011.
- الكفاية في علم الرواية: الخطيب البغدادي (ت463هـ) تح: أحمد عمر هاشم، دار الكتب، ط1، 2010.
- الكلام والخبر مقدمة في السرد العربي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط1 1997.
- لغة القص في التراث العربي القديم: نبيلة ابراهيم، مجلة فصول، مج2، عدد2، 1982
- معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط1 2010.
- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (ت195هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء الكتب العربية، مصدر 1369هـ.